بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة شهرية بعنوان:

وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا

بقلم

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا الله عنه

لشهر رمضان من سنة ١٤٤٤

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فقد ذم الله الهوى في كتابه في مواضع كثيرة ومنها قوله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[الكهف ٢٧]، وقال:﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾[الأعراف ١٧٦]، وَقَال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾[الفرقان ٤٣]، "وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ:« مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْهَوَى فِي مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ إِلا ذَمَّهُ »[1].

إِنَّ الْهَوَى لَهْوَ الْهَوَانُ بِعَيْنِهِ ... فَإِذَا هَوِيتَ فَقَدْ كَسَبْتَ هَوَانَا
وَإِذَا هَوِيتَ فَقَدْ تَعَبَّدَكَ الْهَوَى ... فَاخْضَعْ لِحُبِّكَ كَائِنًا مَنْ كَانَا

إن من أعظم قواطع الطريق إلى الله تعالى هو تحكيم الأهواء في مواضع الخلاف والنزاع، فكم زلت من أقدام آثرت على الحق هوى متبعاً أو عرضاً من الدنيا أو سمعة أو رفعة أو ذكرا بين الورى ... **ومن أعظم مصائب هذا الزمان اقتران الجهل مع الهوى فترى على إثرها أدواءً ما لها من داء ...** فاتباع الهوى يصد عن العبد أبواب التوفيق والهدى ويفتح أمامه أبواب الخذلان والردى ... وقد يكون الهوى مع العلم فيخرج بصاحبه إلى ضد ما يأمر به العلم، فما بالك إذا كان الهوى مع الجهل!! فلا شك أنه يخرج به إلى الحماقة والسفاهة ويمضي به نحو الأفول والسفول والنذالة فيفعل بنفسه ما لا يفعله العدو بعدوه حتى يزدريه جميع العقلاء وينبذه من كان

[1] ذم الهوى ١٢/١

معه قبل حين من السفهاء ... **واعلم أن** أصل العداوة الواقعة في هذا الزمان هو اتباع الأهواء وملاحظة حظوظ النفس ومقامها، **وقد مازج الأهواء الجهل وضعف البصيرة وفساد التصور لحقائق المسائل،** والخوض في أبواب عظيمة في الدين مع انعدام الصناعة وإفلاس البضاعة، وانضاف على ذلك سفالة الأخلاق والأدب، وجسارة التعدي والجهالة والتعصب والفجور والكذب ... فترى من الأقوال والأحوال ما لا تملك أمامها إلا أن تقول: الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به ... فالهوى إما أن يُعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وإما أن يكون علمه بالحق ثابتا فيتركه لأجل هواه، وإذا تمكن الهوى من القلب عميت البصيرة وتعطلت أنوارها، فَتُعرضُ على صاحبه الحجة النيّرة فيرى أنها مجرد شبهة!! ... وتُعرضُ عليه الشبهة الضعيفة المتهافتة الموافقة لهواه فيرى أنها برهان قاطع وحجة بالغة!!.

إن الصادق في مسيره يسعى حثيثا إلى تخليص قلبه من رواسب الهوى وشوائبه، ويعرف قدر نفسه ومقامه ويعالج نيته وقصده ويشتغل بما ينفعه لدينه، ويتعاهد مصدر قوله وفعله هل هو لله خالصا أو للنفس ناصرا؟ **فإذا اجتهد في مخالفة هواه أراح قلبه واستراح بدنه وسلم له دينه وعقله،** قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ: هَوَاكَ دَاؤُكَ، فَإِنْ خَالَفْتَهُ فَدَوَاؤُكَ، وَقَالَ وَهْبٌ: إِذَا شَكَكْتَ فِي أَمْرَيْنِ وَلَمْ تَدْرِ خَيْرَهُمَا فَانْظُرْ أَبْعَدَهُمَا مِنْ هَوَاكَ فَأْتِهِ»[٢] ... **واعلم أنَّ** اتباع الهوى يورث صاحبه إعجابا بالنفس وغرورا بها، وإذا صفق له من حوله من العميان فيزيده العُجب هلاكا ويرديه قتيلا، قال الشَّعْبِيُّ: « إِنَّمَا سُمِّيَ هَوًى لأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ »[٣]، وقَالَ عُمَرُ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ

[٢] تفسير القرطبي ١٦٨/١٦

[٣] ذم الهوى ١٢/١

وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ»[٤]، **ومن آفات الطريق أن يعترضها أمثال هؤلاء من لا يرده للحق علم ولا حجة ولا يصده عن السفاهة والفجور خلق ولا حشمة، ولا يراعي في حال الخلاف سبق فضل ولا نعمة**، وهؤلاء حالهم كما قال ابن القيم:" وَهَكَذَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَسْمَعُ مِنْكَ وَيَرَى مِنَ الْمَحَاسِنِ أَضْعَافَ أَضْعَافِ الْمَسَاوِئِ فَلَا يَحْفَظُهَا وَلَا يَنْقُلُهَا وَلَا تُنَاسِبُهُ، فَإِذَا رَأَى سَقْطَةً أَوْ كَلِمَةً عَوْرَاءَ وَجَدَ بُغْيَتَهُ وَمَا يُنَاسِبُهَا فَجَعَلَهَا فَاكِهَتَهُ وَنُقْلَهُ"[٥].

واعلم أنَّ التعصب للباطل واتباع الهوى والتصدر مع الجهل والطعن في أهل الحق يُسرعان بفضح سوءة صاحبها، ويوجبان مقت الله وغضبه وعذابه كما **قال تعالى**:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾[الإسراء ٣٦]، وقال **تعالى**:﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[النازعات:٣٧-٤١]، **فبادر إلى استعمال الدواء وبالغ في ملازمة الحمية لعل الله أن ينجيك من مزالق الهوى والعدول عن الصراط المستقيم إلى مدارك الردى قال تعالى:**﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾[النساء ١٣٥].

أيها المسلمون اعلموا أننا في أمس الحاجة إلى التعلق بالله تعالى والبراءة من الحول القوة والالتجاء الركن الأقوى وكثرة الابتهال إليه والدعاء بالثبات على الحق والضراعة لله بذلك، **لأننا والذي رفع السماء بلا عمد في السنوات الخدَّاعات وعهد الرويبضات** كما

[٤] مصنف ابن ابي شيبة برقم ٣٧٥٧٢

[٥] مدارج السالكين ٤٠٦/١

أخبر بذلك الصادق المصدوق في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ " قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **" السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ "**[٦]، **وفي رواية «الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»**[٧]، فلو عرف المسلم قدر هؤلاء المتكلمين في الأمور العظيمة في الدين لعلم عِظَم البلاء في هذا الزمان ... الزمان الذي صار يرتفع فيه أصوات هؤلاء الأغمار السذج ولو تكلموا في غير هذا الزمان لدُقت رؤوسهم بالنعال، لذلك السالك لا يلتفت إلى مصدر التشويش ولا يعبأ بصراخهم نحو الطريق، فلا قدر لهم حتى يُلتفت إليهم، وإن الله تبارك وتعالى يكتب ما يقولون ويعلم ما يمكرون وكل ذلك في كتاب مبين.

أيها المسلمون قد أظلنا شهر كريم تقال فيه العثرة وتجاب فيه الدعوة ويتزود فيه المسلم للطريق، شهر من حُرِم فضله فقد حرم الخير كله، فكن يا عبد الله ممن أقبل على الله فيه بكله متذللا، وسعى في تطهير قلبه من الأدران والأوزار منكسرا ، وتضرع إلى الله بتجريد القصد وتصحيح النية ومدافعة الأهواء والعودة إلى الجادة والصواب والرشاد مبتهلا ... اللهم أصلح أحوالنا واجمع المسلمين على كلمة سوء واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا، اللهم من كان ضالا فاهده ومن كان جاهلا فعلمه ومن كان مسترشدا فارشده ومن كان مريدا للحق فإليه وفقه ومن أراد هذه الدعوة بسوء وشر وفتنة فاجعل سعيه هباء ومكره عليه عودا وعلينا ثناء.

---

[٦] رواه أحمد برقم ٧٩١٢

[٧] رواه أبو يعلى في مسنده برقم ٣٧١٥

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين

تمت